عظة قدّاس عيد الميلاد – 23 كانون الأوّل 2025، الساعة 18:00

الإنجيل: لوقا 2: 1–14
ألقاها رئيس المؤسّسة، الأب سليم دكّاش اليسوعي،
موجّهة إلى قدامى جامعة القدّيس يوسف في بيروت،
بحضور معالي الوزير عبّاس الحلبي، وزير التربية ورئيس اتّحاد جمعيّات القدامى

قدامى جامعة القدّيس يوسف في بيروت الأعزّاء،
معالي الوزير عبّاس الحلبي، رئيس اتّحاد جمعيّات القدامى،
الزميلات والزملاء، الأصدقاء الأعزّاء،

في عيد الميلاد هذا، تُصغي الكنيسة إلى بشارة لا يطالها الزمن:
"اليوم وُلِدَ لكم مُخلّص".
وهذا «اليوم» هو جوهريّ وحاسم. فالميلاد ليس مجرّد ذكرى، ولا عادة، ولا حالة عاطفيّة؛ الميلاد هو حضور .إنّه دخول الله في تاريخنا، واختياره أن يلتقي بالإنسانيّة لا بالقوّة، بل بالهشاشة.

في الإنجيل، يبدأ كلّ شيء بإحصاءٍ ورحلةٍ مفروضة. ينطلق يوسف ومريم. وفي بيت لحم، لا موضع لهما. يولد يسوع في الفقر، بعيدًا عن مراكز النفوذ. ومع ذلك، هناك تحديدًا تتجلّى مجدُ الله: في القرب، وفي التواضع، وفي الحنان الممنوح للجميع.

أيّها القدامى الأعزّاء، إنّ هذا السرّ يُنير دعوتكم اليوم. فالميلاد، إذ يجمعكم بجامعتكم، ليس مجرّد لقاءٍ للذاكرة، بل هو دعوة .ففي إنجيل الميلاد، كان الرعاة أوّل المدعوّين: ساهرين في الليل، بسطاء، لكنّهم منفتحون على صوت الله. ودوركم يشبه دورهم :السهر، والانطلاق، والشهادة .وهذه الرسالة تتجلّى، بالنسبة إليكم، في ثلاثة مجالات أساسيّة.

أوّلًا: التزام الحوار الدائم – ترسيخ العلاقات والانفتاح على الحقيقة

قال الملائكة للرعاة :"لا تخافوا".
فالخوف عدوّ الحوار: يُغلق، ويُقسّي القلوب، ويحوّل الآخر إلى خصم.
أمّا الميلاد، فيُعلن إلهًا لا يأتي ليفرض سيطرته، بل ليَلقى الإنسان. لذلك، فالحوار ليس ضعفًا، بل قوّة.

الحوار يرسّخ العلاقات لأنّه يعيد بناء الثقة، ويفتح الطريق إلى الحقيقة لأنّه يرفض التشويه، والكذب، والتصنيف السريع.
أيّها القدامى الأعزّاء، في بيئاتكم المهنيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، لديكم القدرة على أن تكونوا بُنّاة جسور :بين الأجيال، وبين البيئات، وبين الحساسيات المختلفة. أدعوكم إلى أن تكونوا صُنّاع حوارٍ راسخٍ ومحترم، حوارٍ يُنير، ويصون الكرامة الإنسانيّة، ويسعى إلى الحقيقة بلا عنف.

ثانيًا: العمل من أجل «لبنان المواطنين» المتجاوز للطائفيّة والمذهبيّة

يعلن الميلاد حقيقةً أساسيّة: الله صار إنسانًا من أجل الجميع. إنّه يذكّرنا بأنّ الإنسان أسمى من انتماءاته، وبأنّ المواطَنة يجب أن تكون أقوى من الولاءات الفئويّة.

نحن نعرف ما خلّفته الطائفيّة والمذهبيّة من انقسامات، وظلم، وإرهاقٍ أخلاقي، واستسلام. لكنّ الميلاد يقول لنا: يمكن البدء من جديد، باختيار منطقٍ آخر :لبنان المواطنين.

لبنان يحمي فيه القانون الجميع بلا محاباة.
لبنان تخدم فيه المؤسّسات بدل أن تخدم نفسها.
لبنان يتقدّم فيه الاستحقاق، والكفاءة، والنزاهة على الزبائنيّة.

معالي الوزير عبّاس الحلبي، إنّ حضوركم بيننا يذكّرنا بأنّ هذه الرؤية تحتاج إلى ضمائر مستقيمة ومسؤوليّات مُتحمَّلة.
أيّها القدامى الأعزّاء، إنّ لبنان المواطنين لا يُبنى بالشعارات، بل بثقافةٍ مُعاشة: في طريقة العمل، واتّخاذ القرار، والإدارة، والتوظيف، والاقتراع، ورفض غير المقبول، والدفاع عن العدل.

ثالثًا: أن تكونوا شركاء أقوياء وواعين للجامعة وبرامجها التضامنيّة

بعد بيت لحم، لم يحتفظ الرعاة بالفرح لأنفسهم، بل نشروه. وهكذا، فالميلاد لا ينتهي عند العاطفة، بل يتحوّل إلى رسالة.

إنّ رابطكم بجامعة القدّيس يوسف هو رابط امتنان، ولكنّه أيضًا رابط مسؤوليّة.
فالجامعة مدعوّة إلى تكوين نساءٍ ورجالٍ أكفّاء، لكن قبل كلّ شيء، إلى تكوين الضمائر، وإلى حمل رسالة تربويّة واجتماعيّة في خدمة الوطن. وفي الظروف الراهنة، تقف الجامعة شامخة كحارسٍ أمين بفضل جماعة متكاملة: الأساتذة، والموظّفون، والطلّاب، والقدامى.

أن تكونوا شركاء أقوياء يعني عمليًّا: دعم رسالة الجامعة، والدفاع عن مشروعها القائم على التميّز والخدمة، وتعزيز برامجها التضامنيّة كي لا يُقصى الطالب المستحقّ، وكي لا ينتصر اليأس، وكي يبقى المستقبل ممكنًا.
وقوّتكم لا تقتصر على الدعم المادّي، بل تتجلّى أيضًا في شبكاتكم، وخبراتكم، وإرشادكم، والفرص التي توفّرونها من تدريبٍ وعمل، وفي حضوركم وكلمتكم الصادقة.

القدامى كالرعاة: السهر، والانطلاق، والشهادة

اسمحوا لي أن أختصر كلّ شيء بجملة واحدة :كالرعاة، أنتم تسهرون، وتنطلقون، وتشهدون.

تسهرون على القيم، وعلى الذاكرة، وعلى المتطلّبات الأخلاقيّة، وعلى مؤسّسة تخدم الوطن.
تنطلقون بالخروج من الحنين إلى تحمّل المسؤوليّة، وبالجمع بدل التفريق، وبالمصالحة بدل التأجيج.
وتشهدون، من خلال خياراتكم والتزاماتكم، أنّ لبنانًا أكثر عدلًا ممكن، وأنّ التضامن ليس كلمة، بل واجب.

الخاتمة: "المجد لله... وعلى الأرض السلام"

يُعلن الملائكة السلام، لكنّ السلام ليس سحرًا؛ إنّه ثمرة الحوار، والعدل، والمواطَنة الحقيقيّة، والتضامن المُعاش.

في هذا الميلاد، لنطلب من الربّ ثلاث نِعَمٍ لقدامى جامعة القدّيس يوسف:

- نعمة الحوار الشجاع الذي يرسّخ العلاقات ويفتح الطريق إلى الحقيقة؛
- نعمة الالتزام بلبنان المواطنين، المتجاوز للطائفيّة والمذهبيّة؛
- نعمة أن نكون شركاء أقوياء، أوفياء وواعين لجامعة القدّيس يوسف وبرامجها التضامنيّة.

وليولد طفل بيت لحم، أمير السلام،
في وطننا،
وفي مؤسّساتنا،
وفي جامعتنا،
وقبل كلّ شيء في قلوبنا،
لنصبح معًا حَمَلَة نور.

آمين.